المعارك الأدبية .. حرب شعواء أم نهر متجدد ؟

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب

- النابغة الذبياني يحكم بين الشعراء المتصارعين في سوق عكاظ .
- حسان بن ثابت يتحدى الشعراء المشركين .
- صراع النقائض بين جرير والفرزدق .
- خطة مدرسة الديوان الماضية على شوقي والمنفلوطي والرافعي .
- العقاد يحيل الشعر الجزل إلى لجنة النشر .
- الجدل بين أنصار الرومانسية ودعاة الواقعية .
- معركة بين محمد مندور ورشاد رشدي .

من الحقائق البديهية أن الصراع بين الأفكار والمعتقدات في شتى الميادين قديم قدم البشرية ، ولولا الجانب الضوئي منه لما تطورت البشرية وقطعت شوطا بعد آخر في سبيل التقدم . وقد وردت هذه الحقيقة في الآية الكريمة : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات) ، وينشأ الصراع في الرأي دائما بين القديم والجديد ، إذ يكون لكل منهما أنصاره المدافعون عنه دفاعا يصل بأصحاب الحق منهم إلى التضحية التي تتفاوت بين الحد الأدنى والحد الأقصى ،

فأما الأدنى فهو بذل الجهد والمال ، وأما الأقصى فهو بذل النفس وذلك هو أعلى مراتب الفداء ، وبين هذين نوع آخر من التضحية في سبيل المبدأ ، وهو الخروج من الوطن إلى أرض أخرى قد تصلح لإثبات الرأي الجديد ، فيظل صاحبه المنفي بعيدا عن الأهل والدار مختارا أو مضطرا . ويذهب أصحاب الباطل إلى الكيد والمؤامرة التي تصل إلى القتل .

وقد عانى الرسل والأنبياء هذه المحن جميعا ، حين دعوا إلى نبذ الشرك وعبادة الأصنام ونادوا بالتوحيد ، فاضطهدهم من قومهم أولئك الذين ضلوا عن سبيل الله وأنزلوا بالمؤمنين العذاب ألوانا ، (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحكيم) . وكانت حجة أولئك الكافرين أنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون . واستمر الصراع بين الحق والباطل ، بين النور والظلام ، حتى اندحر أهل الطاغوت ، وصدق الله العظيم : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ومن ألوان الصراع الحاد بين الأفكار والقيم ذلك الذي خاضه الفلاسفة منذ أقدم العصور في مواجهة أرباب الباطل وعبيد الأصنام الذين اعتنقوا مذهب تعدد الآلهة . ومن هؤلاء الحكماء (اخناتون) الذي كان أول من دعا من الفراعنة إلى التوحيد ، فآمن بإله واحد ترمز له الشمس وسماه (آتون) ، وبنى له عاصمة باسمه وهي (أخيتاتون) التي تقع أطلالها بمحافظة المنيا في جنوب مصر . ولكن كهنة آمون تغلبوا عليه وهدموا مدينته ، فعادت البشرية القهقرى إلى الوثنية ، لتبدأ بعد ذلك بحقبة طويلة من الزمن جولة جديدة في حلبة الصراع الديني .

ولا يقتصر الصراع بين الخير والشر على الديانات بدءا من اعتداء قابيل على أخيه هابيل ، بل نجده في أساطير الشعوب (فالميثولوجيا) الفرعونية التي نقشت باللغة الهيروغليفية والصور على جدران المعابد والمقابر والأهرامات والمسلات تروي تفاصيل الحرب التي شنها (ست) إله الشر على أخيه الملك (أوزوريس) إله الخير لكي يستحوذ على السلطة . وقد استطاع الأول أن يقتل الثاني بعد تدبير

مؤامرة ضده . ولكن (ايزيس) زوجة أوزوريس حملت من روحه وأنجبت (حوريس) الذي تمكن من الثأر لأبيه واستعادة ملكه .

ومن أهم المعارك الفكرية القديمة تلك التي قادها بأسلوب جدلي سلمي الفيلسوف الاغريقي سقراط لدحض أباطيل خصومه ، الذين اتهموه بالتغرير بالشعب وحكموا عليه بالإعدام ، وقد رفض نصيحة تلاميذه بالهروب من أثينا ، وارتضى أن يتجرع كأس السم ، ليكون من أوائل شهداء الرأي في التاريخ ، ضاربا بذلك المثل الأعلى في الثبات على المبدأ حتى الموت .

الصراع الثقافي في التاريخ العربي

يزخر التاريخ العربي منذ حقبة ما قبل الإسلام بالمعارك الثقافية والأدبية التي اندلع لهيبها بين أصحاب الآراء المختلفة . ولما كان الشعر ديوان العرب ومناط مفاخرهم ، فقد كانت كل قبيلة في الجاهلية تتعصب لشاعرها وتراه أمير شعراء الجزيرة العربية . ونظرا للمكانة الشعرية التي كان يحظى بها النابغة الذبياني فقد كان الشعراء المتنافسون يقصدونه ليكون حكما بينهم . وهناك في سوق عكاظ كان النابغة ينصب خيمته المميزة بلونها الأحمر ، ويتبارى أمامه الشعراء بما تجود به قرائحهم ، فيقضي بينهم حسب ذائقته وخبرته الشعرية ، فيرتضون قضاءه لعظم منزلته فيهم . وقد اشتهرت من الأسواق (المنتديات) الأدبية أيضا سوق المربد التي كان يصول فيها أرباب البيان ويجولون كالفرسان في حلبة السباق .

ولما أشرقت شمس الإسلام اتخذ شعراء النبي عليه السلام وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن أبي رواحة ، اتخذوا شعرهم سلاحا يقاومون به المشركين وشعراءهم وينتصرون لدين الله الحق . وضاقت العصور الإسلامية ، فكانت المذاهب الفقهية الأربعة وكان في اختلاف الفقهاء رحمة كما جرى سجال بين التيارات المتعارضة التي يمثلها المشتغلون باللغة والنحو ، وكانت ثمة مدرستان متنافستان إحداهما في الكوفة والأخرى في البصرة ، ولكن منهما شيوخها في اللغة

وأعلامها الخبراء في النحو . كما أن لكل من هاتين المدرستين منهجا يخالف الأخرى .

نقائض جرير والفرزدق والنواسّ

كان علماء اللغة والنحو يجادلون بعضهم بعضا بالتي هي أحسن . ولكن الأمر جرى على خلاف ذلك في ساحة الشعر . ففي العصر الأموي احتدم الخلاف بين جرير وتابعيه والفرزدق وأشياعه ، وكان خلافا مرا عنيفا بلغ درجة القذف في الأهاجي التي كانوا يتبادلونها وسميت بالنقائض ، وقد أعادت عهد الجاهلية الأولى بما اتسمت به أحيانا من فحش في القول لسبها الآباء والأجداد والأمهات ، مما يعد مساً بالأعراض التي أمر الإسلام بالحفاظ عليها . ويعد الحلم عن ذكر بعض هذه القصائد والأبيات . لقد استخرج هؤلاء الشعراء من قواميس اللغة أكثر الألفاظ والمعاني تعبيرا عن الخصال الدنيئة التي تنهى عنها الشرائع السماوية والدنيوية .

وخفتت تلك الأصوات حينا وإن بقيت أصداؤها في بطون الكتب ، ولبثت أن عادت بصورة أخرى في عصر العباسيين حين ثار النزاع بين أبي نواس وتلميذه أبي [illegible] الذي اتهمه معارضوه بالشعوبية ومعناها انحيازه إلى الحضارة الفارسية إذ كانت أمه من أصل فارسي ، وبالخروج في الشعر الجديد والمقدمة على عمود الشعر التقليدي ، واستشهدوا بقوله ساخرا من استهلال القصيدة العربية بالبكاء على الأطلال :

قل لمن يبكي على رسم درس ... واقفا ماضرّ لو كان جلس !!

وقدم هو منهجه الجديد القائم على البدء بوصف الصهباء ومجلسها بقوله :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسّها حجر مسّته سراء

في هذا المعنى أيضا
وقوله مندداً بالقصيدة الطللية التي يبكي فيها الشاعر رحيل حبيبته :

لا تبك هندا ولا تحزن على وعد واشرب على الراح من حمراء كالسورد

بين البحتري وابن الرومي

جرت مياه كثيرة تحت الجسور ، وعاد الجدل بين القديم والجديد متمثلا في البحتري الشاعر المحافظ وابن الرومي الشاعر المجدد . فأما الأول فقد استنكر ما ذهب إليه الثاني من استعمال قضايا الفلسفة والمنطق في الشعر متأثرا بالآداب اليونانية والعلوم الفارسية والهندية الدخيلة على البيئة العربية ، ويعبر عن استنكاره بهذين البيتين :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نعته وما سببه

يريد أن يقول إن الشعر يقوم على الأخيلة لا الحقائق ، وأن ذا القروح وهو امرؤ القيس الذي خرج الشعراء جميعا من معطفه لم يكن يعرف الفلسفة ولا المنطق ، فكيف يأتي من بعده من يذهب غير مذهبه مثل أبي تمام وابن الرومي ، فإن كان البحتري قد اعترف للأول بالسبق وكان يلقبه بأستاذه .

وقد اشتعلت الخصومة بين البحتري وابن الرومي بسبب هذا التعارض في المذهب الشعري ، أضف إلى ذلك أن الثاني كان يحسد الأول لما ناله من الخلفاء والأمراء والولاة من أموال لم يحظ بمثلها أو بقليل منها ابن الرومي ، وهو الشاعر المتميز الذي وصفه بعد ذلك بألف عام عباس محمود العقاد بالطائر الفريد في غير جنسه . فهجا ابن الرومي البحتري أقذع الهجاء فتغيا من حقده وشعوره بالدنين وهو الجدير بالثناء والعطاء . ولعله كان يقصد البحتري بقوله :

لم أكن دون مالكي هذه الأموال لو أنصف الزمان المحابي !!

ولكنه صوح بحقده لغريمه في هذه الأبيات التي يعيب فيها شعره وينهمه بالسرقة :

الحظ أعمى ولولا ذاك لم نره للبحتري بلا عقل ولا أدب
قحا لأشياء يأتي البحتري بها من شعره الغث بعد الكد والتعب
كأنها حين يصفي الشاعرون لها ممن يميز بين النبع والقرب :
رقى العقاب أو هدر البنات إذا أضحوا على شعف الجدران في صخب
وقد يجيء بخلف ظالنحاة له وللوائش ما فيه من الذهب
عبد يخير على الموتى فيسلبهم حر الكلام بجيش غير ذي لجب
ما أن تزال تراه لابسا حللا أسلاب قوم مضوا في سالف الحقب

معارك العصر الحديث

توالت القرون واحدا بعد الآخر حتى إذا أطل على دنيا الأدباء والشعراء والنقاد القرن العشرون ثارت الخلافات الثقافية عودا على بدء ، وتراوحت بين الاعتدال والشطط في التعبير عن الرأي . فأما الاعتدال فهو مقارعة الحجة بالحجة ، والعمل بمقولة شوقي (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) ، وأما الشطط فهو اللجج أي المبالغة في الخلاف وجعله خصومة شخصية والخروج به عن الآداب والتقاليد المرعية ، ولاسيما بين المثقفين الذين يعدون من صفوة القوم وضمير الأمة ومن يقتدى بهم الناشئة .

وأشهر المعارك الأدبية التي عرفها القرن العشرون هي تلك التي شنها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني على أمير الشعراء أحمد شوقي ومدرسته ، وكذلك على الكاتب الأديب البليغ مصطفى لطفي المنفلوطي . وكان العقاد والمازني قد أسسا بالاشتراك مع عبد الرحمن شكري مذهبا جديدا في الأدب شعره

ونثره يتأثرون فيه بالأدب الانجليزي ويعبرون عنه في كتابهم (الديوان) الذي سميت باسمه مدرستهم . وقد اتهموا فيه شوقي والمنفلوطي بتقليد الأدب العربي القديم وعدم التزود بثمار الآداب الأجنبية ، وقد ردوا من شعرهم ودراساتهم النقدية نماذج لما ينبغي أن يكون عليه الأدب العربي الحديث حتى لا يقف جامدا يائسا العروق عاجزا عن ملاحقة ما طرأ من تطور على الأدب الغربي حيث أصبح عالميا .

ولكن العقاد والمازني خرجا من النزاهة والموضوعية إلى التجريح والهجاء المقذع ، واتخذا شخص شوقي لا شعره فقط مادة لسخريتهم ، ومالبثا أن تطرقا إلى كل مظهر من أعلام البيان ، وهو مصطفى صادق الرافعي ، مبدع الأعمال النثرية الرائعة ومنها (أوراق الورد) و (السحاب الأحمر) ، فتناولاه بلسان حاد لا يبقي ولا يذر ، ووقفا بالمرصاد عند كل كلمة من كلماته أو عبارة من عباراته زراية واستهجانا وتقبيحا ، واختارا أشد مفردات المعجم رداءة لإلصاقها بالرافعي حتى لا تقوم له قائمة بعدها .

ومع ذلك فإنه يصدق على الحملة الضارية التي قامت بها مدرسة الديوان على شوقي ومدرسته المثل العربي القائل : (رب ضارة نافعة) ، إذ أفاد منهج هذه المدرسة الأدب العربي الحديث بما نبه إليه من ضرورة نبذ آفة التقليد التي شابت بعض قصائد مدرسة الإحياء الشعري ، ومن ديوان كثير من هذه القصائد حول المناسبات مثل مديح الحاكم أو ذكرى عيد ميلاده أو تخليده بعد وفاته ، وخلوها من تصوير المشاعر الإنسانية . ومن هذه الآفات أيضا افتقاد شعر هذه المدرسة إلى وحدة الموضوع ، واستقلال كل بيت بمعناه بحيث يمكن قراءة بيت قبل بيت آخر ، هذا بالإضافة إلى تعدد موضوعات القصيدة الواحدة .

إن أحدا لا يهتم اليوم بسوط الهجاء الذي استعمله مدرسة الديوان ولا بالغبار الذي أثارته ، ولكن الاهتمام منصب على الأفكار الجديدة الصحيحة التي أتت بها ، ومن ثم انقشع سحاب اللغو ونفذت إلى أفق الأدب أشعة شمس الحقيقة .

ويمكن أن يقال ذلك أيضا في الجدل الذي احتدم بين العدوة أحمد أمين حيث نشر مجلته « الثقافة » من الدريعيات مقالات بعنوان (الأدب العربي) دب عدوة) قاصدا من ذلك أن معظم قصائد الشعر العربي كانت في الحدي الذي يتكسب به صاحبه ليعدو ثوبه بالدنانير من الممدوح ومن ثم يعدو مدحته بالطعام الذي يشتريه بهذه الدنانير ؟!!

على السَّفُّود

إذا كان أمير الشعراء شوقي قد لاذ بالصمت مترفعا عن الانغماس في معركة مع العقاد وقد ها الشَّباب ، فإن مصطفى صادق الرافعي قد ثأر لنفسه ، إذ أصدر كتابا بعنوان (على السَّفُّود) يكوي به أعضاء مدرسة الديوان ، والسفود لغةً عود من حديد يُنظم فيه اللحم ليُشوَى وجمعه سفافيد ، مما يعني أن صاحب (أوراق الورد) قد جعل من قلمه أداة نارية يشوي بها خصومه . وقد انضم إليه في هذه المعركة الأديبان سيد قطب ومحمد سعيد العريان .

وأثار عباس العقاد الكاتب العملاق كما سماه سعد زغلول زعيم الوفد وقائد الشعب في ثورة سنة ١٩١٩ معركة أخرى ، وذلك في منتصف الخمسينات ، وكان يومئذ رئيسا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، إذ أنكر شوقي الشعر الحر (شعر التفعيلة) ووصمه بالخروج على قانون القصيدة العربية المتوارث منذ عصورما قبل الإسلام ، وأحال الأشعار التي وردت إلى اللجنة من هذا النسق الجديد إلى لجنة النثر ، الأمر الذي أدى إلى انقسام الحركة الشعرية والنقدية إلى فريقين يشايع أحدهما العقاد ، ويناصر الآخر الشعراء الشباب الذين صاغوا تجاربهم الفنية في قالب التفعيلة دون التقيد بنظام الشطرين ووحدة الوزن والقافية . وكتب النصر في هذه المساجلة للثوري الثاني رغم أنف المعارضين ، وأصبح رواد الشعر الجديد وهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ثم عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور ومن نهج نهجهم منذ أواخر الأربعينات حتى اليوم هم أقدر شعراء الأمة العربية تصويرا لرؤيتهم للذات والوطن والعالم ، وإن بقي للقصيدة العمودية في نماذجها الجيدة عشاقها ومريدوها .

الجدال بين المدرسة الميتافيزيقية والمدرسة الواقعية

لم تكد تنقضي بضع سنوات على حملة العقاد على الكلاسيكية الجديدة التي رادها شوقي وحافظ وطوران بعد البارودي مؤسس مدرسة الإحياء الشعري حتى شغلت الناس ومدت الدنيا معركة أخرى أثارت كثيرا من الغبار وكثيرا من الضوء أيضا ،

وذلك حين نشر الدكتور عبد العظيم أنيس والأستاذ محمود أمين العالم كتابهما (في الثقافة المصرية) الذي تضمن نقدهما للمدرسة الميتافيزيقية التي كان على رأسها الأديب الكبير توفيق الحكيم والنزعة الرومانسية كما تتجلى عند يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس، ودعوتهما إلى الأدب الواقعي وتأسيسهما مدرسة جديدة لهما ان تعمقت جذورها في التربة الثقافية، وأزهرت شجرتها حتى جنت الحركة الأدبية قطافها على يد أدباء من الشباب المبدعين في مختلف الأنواع الأدبية، فكان منهم الشعراء والروائيون والمسرحيون.

بيد أن المدرسة الرومانتيكية لم تترك الساحة خالية لأدب الواقعية، بل مازالت تسير محتلة جنبا إلى جنب دون أن يتغلب أحد التيارين على الآخر، رغم انقضاء أكثر من نصف قرن على نشأة المذهب الواقعي في مصر خاصة والوطن العربي الكبير عامة. وما يجدر بالذكر أن الواقعية لم تقتصر على المجال الأدبي بل عمت المجالات الفنية الأخرى كالمسرح والسينما. وتمثل ذلك واضحا في مسرحيات نعمان عاشور وسعد الدين وهبه وألفريد فرج. أما في السينما فتمثلت الواقعية في الروايات التي كتبها نجيب محفوظ وأخرجها صلاح أبوسيف وفي فيلم (باب الحديد) الذي أخرجه يوسف شاهين.

وهكذا كان للمذهب الواقعي مثل كل المذاهب أدباؤه ونقاده الذين ضخوا دما جديدا في شرايين الحركة الثقافية، مسهما بذلك في تطوير الإبداع وإثراء الفكر العربي عامة والمصري خاصة. وقد تطور هذا المذهب فأصبح اهتمامه بالشكل والتقنيات الفنية لا يقل عن اهتمامه بالمضمون وإن لم يفصل بين الجانبين، ويرجع إلى رواد هذا الاتجاه الفضل في تعميق وعي المبدعين الشباب بالقضايا والمشكلات التي يمور بها الواقع، وحثهم على معايشة الفئات الشعبية الكادحة لتصوير همومها وأحلامها، ومناصرة حركات التحرير والكفاح ضد الاستعمارين القديم والجديد والصهيونية والنظم الفاشية، على حين كان الاتجاه الرومانسي يقوم على النزعة الفردية وما يتصل بها من التعبير عن الذات ونظرة إلى حركة الجموع والانغماس في الأبراج العاجية وعشق الطبيعة. يُستثنى من ذلك الرومانسية الثورية التي جمعت بين تصوير مشاعر الفرد وبين الدفاع عن حركات التحرير.

معركة حول جوهر الأدب واللغة ووظيفتهما

في العقد الستيني من القرن الماضي برز صوت نقدي متفرد أطلق شرارتها ثائرة شقت الأفق الأدبي وأثارت كثيرا من الجدل، ذلك هو صوت الدكتور محمد مندور الذي عاد من بعثته في باريس مبشرا بمنهج نقدي حديث مغاير للمدرستين الكلاسيكية والرومانسية، وملقيا نظرة جديدة على تراثنا العربي، وناقحا طرائق غير مسبوقة للتمييز بين أنواع الإبداع الأدبي عامة لا والشعري خاصة سواء على المستوى التنظيري أو التطبيقي، ومرهفا حاسة التذوق لدى قراء الأدب. فقد انتقد هذا المفكر الباحث الرائد ما يتسم به كثير من الشعر الرومانسي بالتهويم بعيدا عن الواقع في عمقه ورحابته، والمبالغة في التعبير عن الوجدان مستميا هذه المبالغة أو المبالغة بالطرشة العاطفية!! كما نبه إلى الجوهر الإنساني والمستوى التشكيلي الرفيع لإبداع شعراء المهجر في الأمريكتين، وهم الذين غادروا بلداتهم في لبنان وسورية إلى العالم الجديد ابتغاء النجاة من عسف السلطة في هذه البلدان آنذاك ونشدانا لأرض فسيحة مفتوحة الأبواب، وتطلعا إلى مستقبل أفضل يكفل لهم الحرية والعيش الكريم ولنهر شعرهم روافد جديدة.

ورأى الدكتور مندور أن الشعر الذي يتوافر فيه الجوهر الإنساني والتشكيل الجمالي يتحقق في شعر المهجريين وأطلق عليه (الشعر المهموس)، للدلالة على بعده عن الجهارة التي تغلب على الشعر العمودي، فنغمته تمس القلب قبل السمع، كأنها ترانيم أم تهدهد وليدها كي ينام، أو ترتيل عابد في محرابه، أو أنات عاشق محروم. ولا شك أن الناقد الكبير قد أحسن الإصغاء إلى نبرات البوح والإفضاء في قصائد نسيب عريضة وغيره من شعراء المهجر الذين حُرِموا العيش في وطنهم، وحالت بينهم وبينه آلاف الأميال، فلم يملكوا إلا التغني بالحنين الشجي إليه. كما أنهم لم يتقوقعوا على ذواتهم المنكسرة، بل امتدت رؤيتهم لتشمل هموم الإنسان في كل مكان، وأشدها ما حاق بالشعوب من مآسٍ جرتها عليهم الحرب العالمية، فأصطلوا بنارها وهم الأبرياء، فكانوا الضحايا ووقود هذه الحرب. وتبين ذلك في قصائد ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبي ماضي.

وسائل الدكتور محمد مندور أن أشتبك في معركة أدبية كان طرفها الثاني الكاتب المسرحي والناقد الدكتور رشاد رشدي، إذ أطلق الأول شعار (الأدب والفن للمجتمع والحياة) داعيا إلى ضرورة تسلح الأديب والفنان بالوعي الاجتماعي، وتعبيره عن قضايا الواقع المعيش بشرط ألا يتحول إلى داعية سياسي أو واعظ أو مصلح، على حين تصدى له الدكتور رشاد رشدي حاملا الشعار المضاد وهو (الفن للفن)، قاصدا منه تقييم الإبداع على أساس التقنيات الفنية لا الموضوع والمحتوى. فلا عبرة بالقضية التي يتناولها الأديب مهما كان سموها، ولكن مناط الأدب والفن هو الأسلوب أو طريقة التناول لا المضمون، أو بعبارة أخرى فإن المعول عليه هو المبنى لا المعنى، وهي نظرية متطورة ترجع جذورها إلى مقولة الجاحظ (المعاني ملقاة في الطريق).

وقد ظلت هذه المعركة سجالا بين الناقدين الكبيرين، ولم تُحسم حتى اليوم. وما يجدر بالذكر أن من أبرز أنصار النظرية الاجتماعية ومبدأ الالتزام في الأدب والفن الأديب الناقد المفكر محمد مفيد الشوباشي وهو أحد المؤسسين الأوائل لمذهب الواقعية.

وبين من هذا الاستقراء التاريخي للمعارك الأدبية في مصر أنها لم تكن مجرد قرقعة لأسلحة الأقلام ودقات طبول في حروب جدلية يستشهد فريق ضد آخر، وتبدأ بمذهب جديد يعارض القديم، وإنما كانت تقليبا وحرثا للتربة كي تتعرض من جديد للشمس والهواء، وتحريكا للمجتمع الثقافي حتى لا يصبح راكد المياه. وقد تمخضت هذه الصراعات النقدية عن خير كثير رغم ما شابها من شر في أحيان قليلة، تحولت فيها إلى مهاترات. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

*